

الكندى و آرائه الفلسفية

(٨)

للدكتور عبدالرحمن شاه ولى

رأى الكندى فى حدوث العالم

ان الازلى فى نظر الكندى هو ما لم يكن معدوماً، ولا يحتاج فى قوامه و وجوده الى علة، وأنه بسيط غير مركب، لا جنس له ولا فصل، وأنه لا يفسد ابداً فهو دائم ابد الدهر، يقول: "الازلى - الذى لم يكن ليس، وليس يحتاج فى قوامه الى غيره، والذي لا يحتاج فى قوامه الى غيره فلا علة له، وما لا علة له فدائم أبداً"، (١)

بان من تعريفه ان الازلى - فى نظره - هو البارى تعالى فقط، وان ما سواه محدث مسبوق بالعدم، وبذلك خالف الكندى ارسطو و شيعته، لأنه يصرح بأن الزمان والفلك و غيرهما ما فى هذا العالم كله حادث مسبوق بالعدم، يقول: "الفلك عنصر وذو صورة فليس بأزلى"، (٢) والزمان مقدار حركة الفلك فلا بد من ان يكون محدثاً بحدوث الفلك -

و هذا التعريف للازلى قد اختاره كثير من المتكلمين بعد الكندى، ونرى أثر الكندى واضحاً فى قول الجرجانى اذ يقول: "الازلى ما لا يكون مسبوقاً

(١) رسائل الكندى ص ١٦٩

(٢) الرسائل: ص ١٦٩

بالعدم . . . واعلم أن الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها : فانه اما ازلى وابدى وهو الله سبحانه و تعالى، او لا ازلى ولا ابدى وهو الدنيا، او ابدى غير ازلى وهو الآخرة، عكسه محال، فان ما ثبت قدمه استنع عدمه . . . الازلى الذى لم يكن ليس والذى لم يكن ليس لا علة له فى الوجود-،،(١)

بان من هذه النصوص ان الجرجاني اخذ هذا التعريف للازلى من الكندى أو تأثر به تأثرا بالغيا على الأقل - كما انه فى تقسيمه الموجود الى اقسام ثلاثة لا يخالف الكندى فى شىء، لان الازلى - وهو الأبدى ايضا فى نظرهما - هو الله سبحانه و تعالى، اما العالم المحدث فبقاؤه موقوف على ارادة الله كما سنذكر قول الكندى فى ذلك فيما بعد، اما ابدية الآخرة فتشهد بها النصوص الشرعية - و يفرق الجرجاني بين الازل والابد، بان الاول استمرار الوجود فى ازمنة مقدرة غير متناهية فى جانب الماضى، والثانى هو استمرار الوجود فى ازمنة مقدرة فى جانب المستقبل-،،(٢)

اما الفلاسفة المسلمون بعد الكندى من اتباع ارسطو، فهم يذكرون للحدوث والقدم معنيين، فالحدوث فى نظرهم يقال على وجهين، احدهما زمانى والآخر غير زمانى، و معنى الاحداث الزمانى هو ايجاد شىء بعد ان لم يكن له وجود فى زمان سابق، اما الاحداث غير الزمانى فهو افادة الشىء وجودا وليس له فى ذاته ذلك الوجود لا بحسب زمان دون زمان، بل فى كل زمان كلا الامرين (٣) فقد يكون الشىء حسب هذا التعريف الاخير حادثا بالذات، وازليا باعتبار الزمان

(١) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ص ١١ - ١٢

(٢) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ص ٣

(٣) رسائل ابن سينا الفلسفية ص ٦٩

عند ابن سينا وغيره من الفلاسفة المشائين -

وكما ان للحدوث عندهم معنيين، فكذلك للقدم ايضا معنيين، احدهما قديم اضافى وهو الذى يكون زمانه فى الماضى اكثر من زمان شىء آخر، ويسمون ذلك القديم بالقياس - والثانى هو القديم المطلق وهو ايضا يقال على "وجهين بحسب الزمان، او بحسب الذات، اما الذى بحسب الزمان فهو الشىء الذى وجد فى زمان ماض غير متناه، واما القديم بحسب الذات فهو الشىء الذى ليس لوجود ذاته مبدأ به وجب - فالقديم بحسب الزمان هو الذى ليس له مبدأ زمانى، والقديم بحسب الذات هو الذى ليس له مبدأ يتعلق به، وهو الواحد الحق -"، (١)

اما فيلسوف العرب فانه لا يؤمن بهذا التقسيم، ويرى ان القديم بالذات هو الله وحده، وانه ليس هناك شىء يكون قديما بالزمان حادثا بالذات، وذلك لحدوث الزمان والزمانيات جميعا فى نظره حدوثا زمانيا، و سنذكر فى فصل "البعث بعد الموت"، فى تفسيره لقوله تعالى : "قال من يحيى العظام وهى رميم . . الخ"، انه يرى ان البارى سبحانه و تعالى خلق العالم كله من العدم، وهو بديع السموات والارض، والابداع فى نظر الكندى هو اخراج الشىء من اللبس الى الايس، ومن العدم الى الوجود، وأن الله هو الفاعل الحقيقى لهذا العالم، والفاعل الحقيقى هو سوجد الشىء من العدم و مخرجه من اللبس الى الايس، وبذلك يرى الكندى حدوث العالم حيث انه مخلوق من العدم، وقد مر بنا ان هذا هو مذهب جميع اهل الملل واهل الحق جميعا -

اما المشائون من فلاسفة الاسلام فهم يذكرون للخلق والابداع ايضا

(١) نفس المصدر ص ٦٩

معنيين، فيقول ابن سينا: الابداع اسم المفهومين، احدهما تائيس الشئ^١ لا عن شئ^٢، ولا بواسطة شئ^٣، والمفهوم الثاني ان يكون للشئ^٤ وجود مطلق عن سبب بلا متوسط، وله في ذاته ان لا يكون موجودا، وقد افقد الذى له في ذاته افتقادا تاما- (١)

وابن سينا، وان تآثر بالكندى في تعريف الابداع الى حد ما، الا انه يرى ان الله بديع السموات والارض بالمعنى الثانى- وهو يذكر للخلق ايضا معنيين فيقول: "الخلق اسم مشترك، فيقال الخلق لافادة وجود كيف كان، و يقال خلق لافادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان، و يقال خلق لهذا المعنى الثانى بعد ان يكون لم يتقدمه وجود ما بالقوة ليلازم المادة والصورة في الوجود-، (٢) فابن سينا وغيره من المشائيين من فلاسفة الاسلام يؤمنون بان الله خالق العالم بمعنى افادة وجوده، لا بمعنى ايجاده من العدم كما هو مذهب الكندى والمتكلمين واهل الحق جميعا-

وقد تأثر المتكلمون في تعريف الابداع بالكندى، و نرى مدى هذا التأثير في قول الجرجاني اذ يقول: "الابداع والابتداع ايجاد شئ^٥ غير مسبوق بمادة ولا زمان كالعقول، وهو يقابل التكوين لكونه مسبوقا بالمادة، والاحداث لكونه مسبوقا بالزمان، والتقابل بينهما تقابل التضاد ان كانا وجوديين، بان يكون الابداع عبارة عن الخلو عن المسبوقية بمادة، والتكوين عبارة عن المسبوقية بمادة، ويكون بينهما تقابل الايجاب والسلب ان كان احدهما وجوديا والآخر عدسيا،

(١) رسائل ابن سينا الفلسفية ص ٦٩

(٢) نفس المصدر ص ٦٩

ويعرف هذا من تعريف المتقابلين . . . والابداع ايجاد الشئ من لا شئ، وقيل الابداع تأيس الشئ والخلق ايجاد الشئ من لا شئ، قال الله تعالى: "بديع السموات والارض"، وقال: "خلق الانسان"، والابداع اعم من الخلق، ولذا قال بديع السموات والارض، وقال خلق الانسان، ولم يقل بديع الانسان، (١)

واذ تبين لنا من هذه النصوص مدى تاثر الجرجاني بالكندى فى تعريف الابداع، فقد توضح لنا ايضا الفرق الدقيق بين التكوين والابداع والاحداث والخلق -

فقد آمن الكندى مثل جميع المتكلمين بان العالم حادث مبدع مخلوق وليس من المستحيل خلقه من العدم، و يبطل قول من يرى استحالة تولد الشئ من اللاشئ (٢) والقاعدة الاغريقية القديمة القائلة "ان العدم لا ينتج وجودا"، -

و يقول الكندى بان ايجاد الشئ من اللاشئ هو الفعل الحقيقى الذى يتسم به الفاعل الحق، وان الله وحده فاعل حقيقى مبدع، وانه وحده فاعل غير منفعل، وان ما سواه فاعل و منفعل معاً، وبذلك ليس فاعلاً حقاً، و يقرر الكندى انه تعالى فاعل بلا واسطة للمنفعل الاول، و للباقي فاعل بالواسطة، يقول: "ان الفعل الحقيقى الاول تأيس الايسيات عن ليس، وهذا الفعل بين انه خاصة لله تعالى الذى هو غاية كل علة، فان تأيس الايسيات عن ليس، ليس لغيره - وهذا الفعل هو المخصوص باسم الابداع - فاما الفعل الحقيقى الثانى الذى يلى هذا الفعل، فهو اثر المؤثر فى المؤثر فيه، من غير ان يتاثر هو بجنس من اجناس المتاثر،

(١) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ص ٣

(٢) مذاهب ميليسوس ص ٢٨١

فاذن الفاعل الحق هو الفاعل مفعولاته من غير ان ينفعل هو بثة - فاما المنفعل فهو المتاثر من تاثير المؤثر، اعنى المنفعل عن الفاعل - فاذن الفاعل الحق الذى لا ينفعل بثة هو البارى، فاعل الكل، جل ثناؤه، واتما ما دونه، اعنى جميع خلقه، فانها تسمى فاعلات بالمجاز، لا بالحقيقة، اعنى انها كلها منفعلة بالحقيقة - فاما اولها فعن باريه تعالى، و بعضها عن بعض، فان الاول منها ينفعل فينفعل عن انفعاله آخر، وينفعل عن انفعال ذلك آخر، و كذلك حتى ينتهى الى المنفعل الاخير منها، فالمنفعل الاول منها يسمى فاعلا بالمجاز للمنفعل عنه، اذ هو علة انفعاله القريبة، و كذلك الثانى، اذ هو علة الثالث القريبة فى انفعاله حتى ينتهى الى آخر المفعولات -

فاما البارى تعالى، فهو علة الاولى لجميع المفعولات التى بتوسط التى بغير توسط بالحقيقة، لانه فاعل لا منفعل بثة، الا انه علة قريبة للمنفعل الاول، و علة بتوسط لما بعد المنفعل الاول من مفعولاته -، (١)

اتضح لنا من هذا النص ان الفعل الحق هو الابداع، وهو اخراج الشئ من اللىس الى الائس، و بذلك ان الله وحده هو الفاعل الحقيقى لانه كما هو مبدع الاشياء كذلك يؤثر فى المفعول ولا يتاثر بالغير، فهو فاعل غير منفعل، اما غيره فهو لا يخلو من الانفعال، وان الله علة قريبة للمنفعل الاول بتوسط، و علة بتوسط لما سواه من مفعولاته، وان الاشياء المخلوقة تؤثر بعضها فى بعض ولكن فعلها ليس ابداعا، ولذلك جميع ما سواه ليس فيه صفة الفاعلية الا بالمجاز -
ومن هنا قد اثرا افلوطينيا محدثا فى فيلسوف العرب فى نظرية انبثاق

22011

العالم من الواحد الحق، الى حد ما، وذلك لان الكندي يعتقد بان الله فاعل لكل فاعل و مكون لكل مكون و مدبر لكل مدبر و علة لكل علة- (١) ولكنه علة للبعض بالواسطة، وللبعض الآخر بلاواسطة، وانه تعالى مصير بعض الاشياء اسبابا وعللا للبعض الآخر، وسخر بعضها للبعض بحيث يؤثر فيه (٢)، و بذلك ان الله جل ثناؤه "المبدع لكل والمتمم لكل، علة العلل، و مبدع كل فاعل-، (٣)

ويرى الكندي ان الاجرام السماوية هي علة كوننا و علة كل ما يوجد في هذا العالم مباشرة، وقد خلقها الله وهو فاعلها بلاواسطة، اما ما يحصل في هذا الكون فان ذلك من فعل الاجرام السماوية بلاواسطة و من فعله بالواسطة، يقول : "ومن الدليل الاكبر على ان هذه الاشخاص السماوية علة كوننا، ما نرى من حركة الشمس البينة جدا بالنظر دون الحساب، والكواكب المتحيزة البينة جدا للحس، فان هذه الكواكب خاصة من بين جميع الاجرام السماوية، و نظم بعضها الى بعض، وتعديل ابعادها من هذه الاشياء الطبيعية الواقعية تحت الكون والا استحالة، واعداد حركاتها التي بعضها من الشوق الى الغرب و بعضها من الغرب الى الشرق، و قربها من المركز، و بعدها منه، اذل من غيرها من الاشخاص السماوية على انها علة كون الاشياء الواقعة تحت الكون والفساد و دوام صورها الى المدة التي قدر لها خالقها جل ثناؤه ولا سيما الشمس-، (٤)

هكذا يثبت الكندي ان كل ما في هذا الكون فهو بفعل الاجرام السماوية

(١) الرسائل ج ١ ص ٢١٥

(٢) نفس المصدر ص ٢١٥

(٣) نفس المصدر ص ٢١٩

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٧

وهي علته القريبة، ولكن فعل الاجرام السماوية بارادة الله سبحانه و تعالى الى الوقت الذى قدره له -(١) اما محل الكون والفساد فهو فى نظر الكندى ما دون فلك القمر، يقول : ان الكون والفساد انما يكون فى ذوات الكيفيات المتضادة، وان الحرارة والبرودة والرطوبة واليبس، هي اوائل الكيفيات المتضادة، وان الجرم الاقصى من العالم، اعنى ما بين حضيض القمر الى آخر نهاية جسم الفلك، لا حار ولا بارد، ولا رطب ولا يابس، وانه لا يعرض فيه الكون والفساد ايام مدة زمانه الذى صير الله جل ثناؤه له، وان الكون والفساد انما يكون فيما دون فلك القمر-(٢)

ويرى الكندى ان فيما دون فلك القمر اربعة عناصر ثابتة الى الوقت الذى قدره الله لها، وان الكون والفساد يقع فى بعض اجزائها بفعل الجرم السماوى وبالارادة الالهية، يقول : ان ما دون فلك القمر اربعة عناصر عظام هي : النار والهواء الماء والارض، وما هو مركب منها، فان هذه الاربعة العناصر غير كائنة ولا فاسدة بكليتهما، بل يكون من كل واحد اجزاء الى غيره منها و تفسد من غيره اليه اجزاء، فاما الاشخاص بكليتها فباقية الى ايام مدة زمانها الذى صيره الله جل ثناؤه لها، اما المركبات منها، اعنى الحرث والنسل والمعادن وما اشبه ذلك فكائنة فاسدة بكمال اشخاصها-(٣) وبذلك قد بان لنا تاثره بالافلاطونية الجديدة، لان افلوطين قال قبل الكندى ان الله فاعل لبعض الاشياء بلاواسطة، وللبعض الآخر بالواسطة، واليك نص عبارته : ”فاما البارى عز وجل فانه يحدث

(١) رسائل الكندى ج ١ ص ٢٢٦

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢١٩

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٠

آليات الاشياء وصورها غير انه يحدث بعضها بغير توسط، و بعضها بتوسط - وانما يحدث آليات الاشياء وصورها لانه هو الشئ الكائن بالفعل حقا، بل هو الفعل المحض، فاذا فعل فانما ينظر الى ذاته فيفعل فعله دفعة واحدة، واما العقل فانه وان كان هو ما هو بالفعل، فانه لما كان فوقه شئ آخر نالته قوة ذلك الشئ، ومن اجل ذلك يحرص على انه يتشبه بالعقل الاول الذى هو فعل محض، فاذا اراد فعلا فانما ينظر الى ما هو فوقه فيفعل فعله فى غاية النقاوة، و كذلك النفس، وان كانت هى ما هى بالفعل فانها لما صار العقل فوقها نالها شئ من قوته، فاذا فعلت فانما نظرت الى العقل فتفعل ما تفعل - فاما الفاعل الاول - فعل محض - فانه يفعل فعله وهو ينظر الى ذاته لا الى خارج منه، لانه ليس خارجا منه شئ آخر هو اعلى منه ولا ادنى، فقد بان اذن وصح ان العقل قبل النفس، وان النفس قبل الطبيعة، وان الطبيعة قبل الاشياء الواقعة تحت الكون والفساد، وان الفاعل الاول قبل الاشياء كلها، وانه سبدع و متمم معاً، وليس بين ابداعه واتمامه فرق ولا فصل البتة -، (١)

تبين لنا ان الكندى يعتقد بان الله فاعل للبعض بالواسطة ولللبعض الآخر بلا واسطة، ولكننا لا نجد عند الكندى ما يثبت صدور النفس والعقل عن البارى كما يقول به افلوطين، ولا نجد عنده ايضا نظرية الفيض، فهو مع افلوطين فى هذا التوسط فقط - اما ما يقول افلوطين من ،، ان القوة النورية تسنح منها (علة العلل) على العقل و منها بتوسط العقل على النفس الكلية الفلكية، ومن العقل بتوسط النفس على الطبيعة ومن النفس بتوسط الطبيعة على الاشياء اولكائنة الفاسدة (٢)،

(١) أثولوجيا لافلوطين، تخريج الدكتور عبدالرحمن بدوى ص ٥١ - ٥٢

(٢) نفس المصدر ص ٦

فاننا لا نجد عند الكندي ما يؤيد ذلك، بل ان نظريته في انبثاق الكون من
البارى تعارض هذا التفصيل من افلوطين حسب ما مر بنا -

وكذلك يعارض الكندي افلوطين حيث يقول ان الاشياء الكائنة صدرت عن
الله بالواسطة، ولكن بعلمه واختياره كما مر بنا من قوله، واما افلوطين فانه لا
يؤمن بذلك، اذ يقول: "انه لم يدبر الاول حيا من الحيوان ولا شيئا من هذا
العالم السفلى او من العالم العلوى بفكرة ولا روية، فبا لحرى ان لا تكون في
المدبر الاول روية ولا فكرة، وانما قيل ان الاشياء كونت بروية و فكرة يريدون
بذلك ان الاشياء كلها ابدعت على الحال التي هي عليها الآن بالحكمة الاولى
ولو ان حكيما فاضل الحكمة روى في ان يعمل مثلها اخيرا لما قدر على ان يتقنها،
ذلك الاتقان،، و يعلل ذلك بقوله: "انما يفكر المفكر قبل ان يفعل الشئ"
لضعف قوته عن فعل ذلك الشئ" فلذلك يحتاج الى ان يروى الشئ قبل ان
يفعله -، (١)

و هذا القول من افلوطين تصريح بنفى العلم عن البارى على خلقه، ولكن
الكندى لا يؤمن بذلك، بل ان هذا هو مدار الخلاف واساس النزاع بين القائمين
بقدم العالم وحدوثه، فالقائلون بالقدم ينفون عن البارى العلم والقصد والاختيار
فيقولون بقدم العالم لان فعل المختار مسبق بالقصد الى الابدان مقارن لعدم
ما قصد ايجاده ضرورة، و لذلك اثبت المتكلمون اختيار القاعل، و ذهبوا الى نفي
الاثر القديم، والحكام اثبتوا وجود الاثر القديم، و ذهبوا الى نفي الاختيار - (٢)
هذا ما يقول به المتكلمون في تحرير محل النزاع بين القائمين بالقدم والقائلين

(١) أتولوجيا لأفلوطين، تخريج الدكتور عبدالرحمن بدوى ص ٦٧
(٢) رسالة المحاكمات لمولانا الجامى ص ٢٤ مخطوطة في مكتبة الأزهر -

بالحدث، ولكن ابن سينا وكذلك ابن رشد لا يسلمان بهذه التهمة الموجهة الى المشائين، والواقع ان المشائين والمتكلمين متفقون على اطلاق القول بان الباري مرید، ولكن كثر الخلاف فى معنى الارادة، فقال المتكلمون انها صفة قديمة زائدة على الذات مثل جميع الصفات الحقيقية، وقال المشاؤون انها العلم بالنظام الاكمل، وهو العناية الالهية، ثم هذه العناية منيع لفيضان الخير والوجود فى الكل، فهم يثبتون العلم للبارى، ولكنه عين ذاته فى نظرهم، ويرون ان العلم مع الذات وحده يكفى للايجاد، و بذلك يعتبرون علمه عين قدرته و عين ارادته، اذ هو كاف فى صدور الكون عنه، وبذلك ان صدور الفعل عنه ليس كصدوره سنا، لان علمنا وحده لا يكفى لذلك، بل يطلب الارادة التى هى سيلان النفس - وكذلك ليس صدور الفعل منه كصدور الحرارة من النار، و صدور ضوء الشمس منها - كما يتهمهم بذلك المتكلمون - و ذلك لعلمه الكامل بما يصدر منه فى نظر المشائين، الا انهم يعتقدون بلزوم العالم على النظام الواقع بذات البارى، فيمتنع خلوه عنه، ولذلك انكروا القدرة، لانها نقص فى نظرهم، واثبتوا له الايجاب، لانه الكمال التام - وهم مع ذلك يعتقدون بان الله قادر، ان شاء فعل، وان شاء لم يفعل، لكن مشيئة الفعل لازمة لذاته مثل لزوم صفات الكمال - (١)

وكذلك يرى ابن رشد ان المشائين لا ينكرون على الله بالجزئيات، الا انهم يقولون ان علمه بها ليس علما حادثا مثل علمنا بها، و يقول: "قد اضطر البرهان الى انه عالم بالاشياء، لان صدورها عنه، انما هو من جهة انه عالم، لا من جهة انه موجود فقط او موجود بصفة كذا، بل من جهة انه عالم، كما

(١) انظر كتاب الدرّة الفاخرة لعبد الرحمن جامى ص ٢٧٢ - ٢٧٤

قال تعالى: "الا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير"، - وقد اضطر البرهان الى انه غير عالم بها بعلم هو على صفة علم المحدث، فواجب ان يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يكيف، وهو علم القديم سبحانه - و كيف يمكن ان يتصور ان المشائين من الحكماء يرون ان علم القديم لا يحيط بالجزئيات، وهم يرون انه سبب الانذارات فى المناسبات والوحى وغير ذلك من انواع الالهامات-، (١) وقال ابن سينا قبل ابن رشد "ان المبدأ الاوّل مؤثر فى جميع الموجودات على الاطلاق، واحاطة علمه بها سبب لوجودها فى لا يحزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء،، (٢)

وكذلك يثبت ابن رشد الارادة للبارى، ولكنه يستدل بقدمها على قدم العالم، لان النسبة بين الارادة والمراد هى التضاييف، و وجود احد المتضاييفين يشبه وجود الثانى فى القوة والفعل، وبناء على ذلك يقول: فان كانت الارادة بالفعل حادثة، فالمراد حادث بالفعل اضطرارا، وان كانت الارادة بالفعل قديمة، يكون المراد الذى بالفعل قديما- (٣) وهكذا يوجب التلازم بين الارادة والمراد، و يرى ان القرآن يثبت الارادة للبارى، ولكن الشرع لم يبين قدمها او حدوثها- وبما ان ارادة البارى قديمة بالبرهان، فلا بد من قدم العالم، وهكذا يثبت قدم العالم مع اعترافه بعلم البارى واردة، بل انه يجعل ارادة البارى طريقا لا ثبات قدم العالم -

ثم ان الكندى وان كان مع افلاطون فى نظرية حدوث العالم بشكله، ولكنه يخالفه فى ان العالم غير مكون من العدم المحض، بل من المادة التى هى

(١) فصل المقال ص ٢٩

(٢) رسالة ابن سينا فى معنى الزيارة ص ٤٦ ليدن

(٣) مناهج الادلة ص ٤٣

في ذاتها ليست شيئا محدودا، ولو لم تكن هذه المادة لما وجد العالم المحس، وهو يشبه تلك المادة بالام، كما يشبه المثل بالاب، والعالم المحس بالوليد الناشئ من اجتماعهما،(١) ويرى ازلية المثل (٢)، وهو مثل افلوطين والكندي يرى ان هذا العالم المكون لم يخلقه الله بلا واسطة(٣)، وكذلك يرى خلود هذا العالم "ولكن خلوده ليس ضربة لازب او امرا مفروضا على الصانع، وانما هو تحقيق لدوام الجمال والخير،(٤) ويرى حدوث الحركة كما يرى التلازم بينهما مثل الكندي(٥)، و يسمى الله سبدا مثل الكندي، كما يرى ان الله خلق هذا العالم تفضلا منه واحسانا، لا انه صدر عنه صدور ضوء الشمس من الشمس-(٦)

واذ تبين لنا ان الكندي يخالف افلاطون في بعض الاشياء ويوافقه في البعض الآخر في قضية حدوث العالم، فاننا لا نرتاب في ان ما قال صاعد من ان فيلسوفنا قد اختار مذهب افلاطون في حدوث العالم في غير زمان(٧) في غير موضعه، لانه لم يختر مذهب افلاطون ولا افلوطين، ولم يذهب مذهب ارسطو ولا الى مذهب المتكلمين، بل اتفق مع هؤلاء في قضية انبثاق العالم عن الباري في بعض الاسور وخالفهم في البعض الآخر، ولذلك احتفظ لنفسه باصالة الفكر في هذه القضية -

(١) الخصوبة والخلود في انتاج افلاطون للدكتور محمد غلاب ص ١٧

(٢) نفس المصدر ص ١١١

(٣) نفس المصدر ص ١٢٦

(٤) نفس المصدر ص ١٢٨

(٥) نفس المصدر ص ١٣٧

(٦) نفس المصدر ص ١٣٧

(٧) طبقات الامم ص ٨١ للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي - ط - مصر

ويتفق فيلسوف العرب مع ارسطو في ان مبدا هذا العالم هو العناصر الاربعة الماء والنار والهواء والارض، ولكن هذه العناصر في راي ارسطو خالدة، اما فيلسوف العرب فيرى بقاءها الى وقت معين وزمان صيره الله جل ثناؤه كما مر بنا من قوله في هذا الصدد - و كذلك اتفق فيلسوفنا مع ارسطو في حياة الجرم الاقصى واثره في الجرم الادنى، بحيث ان حياة الادنى من الجرم الاقصى، يقول: "فاذن هذه الحركة، اعنى الدائمة الذات بنظم و سرح في الجرم الاقصى، هي حركة حيوانية غير مستفادة من جرم آخر كما استفادها منه الجرم الواقع تحت الكون - فاذن الجرم الاقصى حى بالفعل ابدا مفيد الجرم الادنى الواقع تحت الكون، الحياة - اضطرارا - فاذن قد اتضح ان جرم الكل حى، اعنى الجرم الاقصى، وان حياة الادنى منه، علتها حياة الجرم الاقصى الدائمة المسرحة ذات النظم -،،(١) و لكن فيلسوف العرب يعارض ارسطو في ازلية الزمان، ويختار راي افلاطون في حدوث الزمان، يقول ارسطو: ان كان الزمان عدد حركة او حركة ماء، فان الزمان ان كان سرمداء، فواجب ضرورة ان تكون حركة ازلية - لكننا نجد، ما خلا واحدا، متفق الراى في امر الزمان، وذلك انهم يقولون انه غير مكون - وبذلك يبين ديمقريطس انه لا يمكن ان تكون الاشياء كلها مكونة، قال لان الزمان غير مكون - فاما افلاطون فانه وحده يكونه، وذلك انه يقول انه تكون مع السماء وان السماء مكونة - (٢)

ويقول الكندي عن الفلك انه غير مكون من غيره، بل مبدع ابداعا عن ليس (٣) والزمان مقدار حركته، ويعارض ارسطو طاليس في الفرق بين الدهر والزمان

(١) رسائل الكندي ج ١ ص ٢٥٢

(٢) الطبيعة لارسطو طاليس ج ٢ ص ٤٩٣ تخريج الدكتور عبدالرحمن بدوى

(٣) رسائل الكندي ج ١ ص ٣٥٣

ايضا حيث ان الاول لايفرق بينهما، اما الثانى فيقول ان الاشياء الابدية الوجود من جهة ما هى ابدية ليست فى زمان، وذلك انه لا يشتمل عليها زمان، ولا يقدر آيتها، والدليل على ذلك ان الزمان لا يؤثر فيها اثرا اصلا بمنزلة ما ليس فى الزمان(١)، واذا كان الزمان لا يؤثر فيها فانها ليست فيه لانه يؤثر فى كل ما هو فيه، يقول : ان الزمان بذاته هو بان يكون للفساد احرى واولى، لانه عدد للحركة، والحركة تزيل الموجود-(٢)

و نرى هذا الاثر الارسطى فى الافلاطونية الجديدة، اذ يقول برقلس : ان المساوق للموجود الدهر، والازلية، والمساوق للمتكون هو الزمان-(٣) وافلوطين يشح هذه الفكرة فيقول : كل انية يحق اما تكون اعلى من الدهر و قبله، واما مع الدهر، واما بعد الدهر وفوق الزمان- اما الانية التى قبل الدهر فهى العلة الاولى لانها علة له، واما الانية التى مع الدهر فهى العقل، لانه الانية النائة، واما الانية التى بعد الدهر وفوق الزمان فهى النفس، لانها فى افق الدهر سفلا وفوق الزمان-(٤)

اما الكندى فقد مر بنا قهه ان الزمان مقدار حركة الفلك، وانفلك سبدع ابداعا عن ليس، وهو اول مخلوق، والله علته الفاعلة بلا واسطة، اما ما سوى الفلك فعلته القريبة الفلك، وبذلك لا يرى الكندى شيئا مما ذكرنا من راي ارسطو وافلوطين فى هذا الصدد، كما ان الكندى يؤمن بحدوث الزمان، اما ارسطو فيرى قدسه،

(١) الطبيعة لارسطو ج ١ ص ٤٥٠

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٤٥٠

(٣) حجج برقلس فى قدم العالم ص ٣٥

(٤) كتاب الايضاح فى الخير المحض ص ٤ تخريج الدكتور عبدالرحمن بدوى

كما يرى تلازمه للاسور الطبيعية-(١) وقد آمن ارسطو بقدوم الزمان رغم انه يبطل وجود اللامتناهي بالفعل، و يعرف الزمان بانه "عدد الحركة من قبل المتقدم والمتاخر، فليس الزمان اذن حركة، بل هو من جهة ما للحركة، عدد-(٢) وكما ان الزمان في نظره مقدار الحركة، فهو مقدار السكون ايضا، لان كل سكون في الزمان-(٣) و كذلك يرى توقف الزمان على النفس لانه عدد الحركة، ولا يوجد العدد بدون العاد و ليس من شان اى شىء آخر ان يعد سوى النفس، ومن النفس العقل، فغير ممكن ان يكون الزمان موجودا اذا لم تكن النفس موجودة-(٤) فقد تبين لنا ان الكندي لا يعارض ارسطو في قدم الزمان وازلية الحركة فحسب، بل انه يعارضه في كثير مما يتعلق بنظرية قدم العالم وحدثه ايضا -

ورغم ان الكندي يؤمن بحدوث العالم مثل المتكلمين، الا انه لا يرى تركيب العالم المحس من الاجزاء التي لا تتجزا - اما المتكلمون فانهم يعتقدون بحدوث العالم وازلية الله فقط، ويرون تركيب العالم المحس وسائر الاجسام من الاجزاء التي لا تتجزا، وهي في نظرهم حادثة سبذعة من لا شىء، واول من اعلن هذا المذهب هو ابوالهذيل العلاف، ثم اخذ به الاشعري والاشاعرة، وعارض هؤلاء بشدة فكرة قدم المادة، وفكرة المحرك الاول غير المتحرك عند ارسطو - والكندي وان كان معهم في نظرية الحدوث ولكنه ليس معهم في فكرة تركيب العالم المحس من الاجزاء التي لا تتجزا، بل كان يعتقد بتركيب الاجسام من

(١) الطبيعة لارسطو ج ١ ص ٤٠٦

(٢) الطبيعة لارسطو ج ١ ص ٤٢٠

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٤٥٦

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٤٧٣

المهيولى والصورة حسبما يعتقد ذلك الفلاسفة، الا ان فيلسوف العرب لا يؤمن بازلية اى منهما، يقول فى تعريف الفلك : "الفلك عنصر وذو صورة، فليس بازلى - (١) وقد مر بنا قوله عن الفلك انه غير مكون من غيره، بل مبدع ابداعا عن ليس - (٢) و يقول : لا بد ان نعلم اولا ان المبادئ التى منها وجود كل شىء اثنان من هذه الخمسة، وهما: المهيولى والصورة - فيجب ان تبدا ببيان هذين الاثنان قبل الثلاثة الاخرى، لانه يجب ان يعلم ان كل شىء محتاج الى بيان، ببيان المبادئ التى منها الشىء، والتى ليست هى العناصر الاربعة التى هى مبادئ المركبات، بل كل شىء، فهو من المهيولى والصورة، اللتين منهما هذه الاربعة : الحار، والبارد، والرطب، واليابس، التى هى مبادئ الحيوان والنبات وكل شىء فى الكون والفساد - اما المهيولى والصورة فهما مبادئ هذه الاربعة، وهما مبادئ المبادئ، وهما مفردان، و ليس قبلهما شىء، لان الاربعة هى اجسام، اما هذان الاثنان فليسا اجساما، بل هما يولفان الاجسام، وما ليس بجسم فليس بمركب، بل المركبات هى من مركبات، وما ليس مركبا فليس من مركب - لكن الاربعة من شىء، اما الاثنان فليسا من شىء - (٣)

هكذا يبين الكندى المبادئ الاولى والثانوية للاجسام فى عالم الكون والفساد - ثم يوضح ان المهيولى لا حد لها لانه يتركب من الجنس والفصل، والمهيولى جنس الاجناس ولا فصل لها، لانه يكون لما يكون له الجنس، وكذلك الحد يكون للشىء المركب، والمهيولى بسيط ليس لها جنس ولا فصل، فلا حد لها -

(١) رسائل الكندى ج ١ ص ١٦٩

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢٥٣

(٣) رسائل الكندى ج ١ ص ١٦

ولا يؤمن الكندي بالجوهر الفرد الذي لا يقبل الانقسام، سواء كان حادثا - كما هو مذهب المتكلمين، او قديما - كما هو مذهب ديمقريطس، يقول الكندي: والذي لا ينقسم، اما لا ينقسم بالفعل، واما بالقوة، اما الذي لا ينقسم بالفعل فكالذي لا ينقسم لصلابته كحجر الماس، اعنى انه عسير الانقسام، وهذا هو ذو اجزاء اضطرارا، اذ هو جسم فهو متكثر، او الذي يصغر جدا عن الالة القاسمة، فان ذلك يقال له: لا ينقسم، اذ ليس ثم آلة تقسيمه، وهو ذو اجزاء، لانه ذو عظم ماء، اذ لحقه الصقر، فهو متكثر، (١)

بان من هذا النص بوضوح وجلاء تام انه لا يوجد في نظر الكندي شئ من الجسم واجزائه لا يقبل الانقسام، اما عدم انقسامه بالفعل فذلك يرجع اما الى صلابة الجسم، او على عجز الالة القاسمة، او الى كليهما - وهذا هو مذهب الفلاسفة في جوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ - فقد عارض الكندي المتكلمين في تركيب الجسم من الاجزاء التي لا تتجزأ (٢)، وآمن بان الجسم مركب من الهولي والصورة، واختار مذهب ارسطو في مبدا العالم، وهو في نظرهما العناصر الاربعة كما مر القول منا في ذلك، فقد كان ديمقريطس، ولو كس يعتقدان ان جميع الاجسام مركبة في البداية من اجزاء لا تتجزأ او ذرات، وهى غير متناهية لا فى عددها ولا فى اشكالها - (٣) وكان تاليس يزعم ان الماء عنصر وحيد، وانا كسيميس ويوحين يقول كلاهما بانه الهواء، وكان هرقليطس يقول

(١) رسائل الكندي ص ١٥٧

(٢) وقد صنف الكندي فى هذا الموضوع كتابه فى الجزء الذى لا يتجزأ، فى بطلان قول من زعم ان جزء لا يتجزأ (الكندى فيلسوف العرب للاستاذ محمد كاظم الطريحي ص ٧٢) و لكن هذا الكتاب غير موجود لدينا -

(٣) الكون والفساد لارسطو، تعريب احمد لطفى لطفى السيد ص ١٠٩

بانه النار، وقال امبيدقلس بالعناصر الاربعة، وبه قال ارسطو، وهى النار والماء والهواء والارض - (١) وبه اخذ الكندى -

و يختلف فيلسوف العرب مع المتكلمين فيما مر من انه يرى عليه البارى لبعض المخلوقات بلاواسطة، وللبعض الآخر بالواسطة - ولكن المتكلمين لا يرون ذلك، وقد ذكرنا سابقا ان هذا هو اثر افلوطين فى مذهبه، و ذكرنا ايضا اختلافه مع افلوطين فى بعض الاشياء فى نظرية انبثاق العالم، وسما يختلف فيه الكندى مع افلوطين هو ان هذا العالم مخلوق فى الزمان او مع الزمان، وذلك لانه يرى التلازم بين الحركة والزمان والجسم، كما سنذكر ذلك، واول المخلوقات وهو الفلك فى نظره مع الزمان، ولذلك لا يرى تقدم شىء على الزمان سوى الله، اما افلوطين فيرى ان الخلق ليس فى زمان، يقول: ينبغى لسامع قول الفيلسوف ان ينظر الى لفظه فيتوهم عليه انه قال: ان البارى تعالى انما خلق الخلق فى زمان، فانه وان توهم ذلك من لفظه وكلامه فانه انما لفظ بذلك ارادة ان يتبع بمادة الاولين، فانه انما اضطر الاولون الى ذكر زمان فى بدء الخلق، لانهم ارادوا وصف كون الاشياء، فاضطروا الى ان يدخلوا الزمان فى وصفهم الكون، وفى وصفهم الخليقة التى لم تكن فى زمان البتة، وانما اضطر الاولون الى ذكر الزمان عند وصفهم الخليقة ليميزوا بين العلل الاولى العالية، وبين العلل الثانى السفلية، وذلك ان المرء اذا اراد ان يبين عن العلة ويعرفها، اضطر الى ذكر الزمان، لانه لا بد للعلة من ان تكون قبل معلولها، فيتوهم المتوهم ان القبلية هى الزمان، وان كل فاعل يفعل فعله فى الزمان - وليس ذلك كذلك، اعنى ليس ان كل فاعل

(١) الخصوبة والخلود فى انتاج افلاطون للدكتور محمد غلاب ص ١٧، ٩١

يفعل فعله في زمان، ولا كل علة قبل معلولها بزمان - فان اردت ان تعلم هل هذا المفعول زمانى اولا، فانظر الى الفاعل، فان كان تحت زمان فالمفعول تحت الزمان لا محالة، وان كانت العلة زمانية كان المعلول زمانيا ايضا - فالفاعل والعلة يدلان على طبيعة المفعول والمعلول ان كانت تحت الزمان وان لم تكن تحته - (١)

هذا هو راي الافلاطونية المحدثه في خلق العالم، ولكن راي الكندي لا يوافق ذلك - فقد بان لنا من هذه المقارنة بين راي الكندي في الابداع، و بين راي غيره من السابقين واللاحقين، انه كان صاحب فكر اصيل في هذا الصدد، ورغم تاثره بفلاسفة اليونان في بعض النواحي من هذه القضية - (٢)

اما مقارنة ادلة الجميع في قضية حدوث العالم، فان ذلك يضيق عنه نطاق بحثنا، لان ذلك موضوع بحث مستقل، فقد كتب الشيرازى وغيره في هذا الموضوع كتباً ورسائل، كما تعرض له كل باحث، واستدل برقلس وحده في رسالته عن قدم العالم بخمسة عشر حجة، ولذلك نكتفى بذكر حجج الكندي على حدوث العالم -

ادلة الكندي على حدوث العالم

اهتم الكندي بهذا الموضوع، وذلك لاهميته وخطورته كما مر القول منا في ذلك، فتناوله بالبحث في اربع رسائل سما توجد بين ايدينا، وما من شك

(١) كتاب اثولوجيا ص ٢٧ - ٧٨

(٢) واذ تبين لنا تاثر الكندي في هذه المعضلة بكثير من الفلاسفة لا بافلوطين فقط، كما انه احتفظ الى حد كبير باصالة الفكر، فليس لنا ان نقول : ان فلسفته قامت "على مذهب الافلاطونية الجديدة، الا انه لم يأخذها جملة، بل حور فيها، واطاف اليها، (٣)، وذلك لاننا نرى ان فيلسوف العرب يعارض كثيرا من اهم آراء هذا المذهب، ومنها قضية حدوث العالم، وطريق صدوره عن باريه، ولم يتفق الكندي مع هذا المذهب في معظم آرائه، الا في قوله انه فاعل للبعض بلاواسطة، و للبعض بالواسطة، وليس هذا سوى اثر بسيط -

(٣) الكندي فيلسوف العرب ص ٨٥ للاستاذ محمد كاظم الطريحي -

فى انه قد اوضح هذه المشكلة فى كتبه المفقودة، واستدل فيها على حدوث العالم، كما تدل على ذلك عناوين بعض هذه الكتب - وليس لدينا من ادلة الكندى الا ما نجده فى رسائله المطبوعة، وهو فيها يستدل على حدوث العالم بمقدمات يدعى بداهتها، يقول: "فلنقل الان انه لا يمكن ان يكون جرم ازلى ولا غيره سما له كمية او كيفية، لا نهاية له بالفعل، وان ما لا نهاية له انما هو فى القوة -"، (١) حاصل الكلام: ان كل ما له كيفية او كمية، سواء كان ذلك جرما او غيره لا يمكن ان يكون لا متناه بالفعل، وان ما لا نهاية له فهو فى القوة فقط وليس بالفعل - ثم يذكر الكندى بعد هذه الدعوى مقدمات يدعى انها من البدهيات الاولية التى لا تحتاج معرفتها الى واسطة برهان، فيقول: "ان من المقدمات الاولى الحقية المعقولة بلاتوسط:

- ١- ان كل الاجرام التى ليس منها شىء اعظم من شىء، متساوية -
 - ب- والمتساوية ابعاد ما بين نهاياتها، متساوية بالفعل والقوة -
 - ج- وذو النهاية ليس لا نهاية له -
 - د- وكل الاجرام المتساوية اذا زيد على واحد منها جرم كان اعظمها، وكان اعظم سما كان قبل ان يزداد عليه ذلك الجرم -
 - هـ- وكل جرمين متناهى العظم، اذا جمعا، كان الجرم الكائن عنهما متناهى العظم - وهذا واجب ايضا فى كل عظم وفى كل ذى عظم -
 - و- وان الاصغر من كل شيئين متجانسين بعد الاكبر منهما او بعد بعضه
- ويعد ان ذكر الكندى هذه المقدمات البدئية ساق دليله على حدوث

العالم، ويذكر الكندي - اثناء الاستدلال على حدوث العالم - كلمات: "العظم"، و"الاعظام المتجانسة"، و يبين معناهما بقوله: "ان قولنا في هذه الصناعة "عظم"، انما نعني به احد ثلاثة اشياء: اما ما له طول فقط، اعني به الخط، واما ما له طول وعرض فقط، اعني به السطح، واما ما له طول وعرض وعمق، اعني به الجرم - واقول انا نعني بقولنا "اعظاما متجانسة"، الاعظام التي هي خطوط كلها او سطوح كلها او اجرام كلها، لان جنس الخطية يقع على الخطوط كلها ولا يقع على السطوح ولا على الاجرام، و جنس السطحية يقع على السطوح كلها ولا يقع على الخطوط ولا على الاجرام، و جنس الجسمية يقع على الاجرام كلها ويقع على الخطوط والسطوح، فاما الجنس الواقع عليها كلها فالعظم الذي هو يقع على الخط والسطح والجرم -، (١)

وحاصل الدليل على حدوث العالم اننا لو فرضنا جرما غير متناهي العظم، فانه اذا فصل من هذا الذي لا نهاية له، جرم متناهي العظم، فلا يخلو الباقي بعد انفصال العظم المتناهي منه، اما ان يكون متناهي العظم اولا متناهي العظم، فعلى الاول، اذا زيد على الباقي ما فصل منه اولا وقد كان هذا المفصول منه متناهي العظم - فيكون الجرم الكائن من مجموعهما متناهي العظم، و ذلك لما قلنا في المقدمة الخامسة من ان "كل جرمين متناهي العظم اذا جمعا كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم"، والكائن من مجموعهما هو نفس الجرم الذي كان قبل انفصال الجرم المتناهي العظم منه، وقد فرضناه قبل انفصال ذلك منه لا متناهي العظم، فاذن هو متناهي العظم ولا متناهي العظم، وهذا خلف مستحيل، وقد

لزم ذلك من فرضنا جرماً غير متناهي العظم، والمستلزم للمحال يكون محالاً، فيكون
الجرم اللامتناهي العظم محالاً، وبذلك ثبت تناهي عظمه على هذا التقدير-

وعلى التقدير الثاني، اعنى اذا كان الباقي من اللامتناهي بعد فصل الجرم
المتناهي منه، غير متناهي العظم، فانه اذا زيد عليه ما فصل منه، فلا يخلو
بعد انضمام ما اخذ منه، اما ان يكون اعظم مما كان قبل ان يزداد عليه ما اخذ منه،
واما ان يكون مساوياً له، فان كان اعظم مما كان عليه، اعنى حال عدم انضمام
ما اخذ منه، فقد صار ما لا نهاية له اعظم مما لا نهاية له، واصغر الشئيين يكون
بعد اعظهما او بعد بعضه، "فاصغر الجريبين اللذين لا نهاية لهما بعد اعظهما
او بعد بعضه، وان كان بعده فهو بعد بعضه لا محالة، فاصغرهما مساو بعض
اعظهما -"، (١)

والمساويان هما اللذان يكون بعد ما بين نهايتهما متساوية بالفعل او
بالقوة و ذلك حسب المقدمة الثانية، واذا صار بعد ما بين نهايتهما "اي اصغرهما
و بعض اعظهما"، مساوياً، فقد ثبت لهما الاصغر و بعض الاعظم النهائية، لان
مساواة بعد ما بين نهايتهما، فرع وجود النهاية لهما، وما له نهاية فهو متناه،
فاذن هما - الاصغر و بعض الاعظم - متناهيان، فالذى لا نهاية له الاصغر
متناه، وقد فرضناه لا متناه، وهذا خلف، فاذن ليس احدهما اعظم من الاخر-

واذا ثبت انه ليس اعظم مما كان قبل ان يزداد عليه ما فصل منه، والا
لزم خلاف المفروض، فقد تبين لنا انه مساوله، فقد زيد على جرم آخر ولم
يزد عما كان عليه قبل زيادة جرم آخر عليه، شئ، "وصار جميع ذلك مساوياً

له وحده، وهو وحده جزء له ولجزئه الذين اجتماعاً، فالجزء مثل الكل وهذا خلف لا يمكن -، (١) و ذلك حسب ما جاء في المقدمة الرابعة من ان زيادة جرم على جرم تقتضى زيادة عظمه، فقد ثبت تناهى الجرم على جميع التقديرات - وبما يلاحظ هنا ان هذا الذى استدل به الكندى على تناهى الاجرام كلها قريب جدا الى ما يسميه المتكلمون ببرهان التطبيق على بطلان التسلسل، الا ان الكندى قد ساقه باسلوب معقد غير اسلوب المتكلمين، ولذلك لا يسهل على القارى فهمه من عبارته - (٢)

وقد ذكر الكندى هذا الدليل بنفس الاسلوب مع تغيير قليل فى رسالة اخرى، وهى "رسالة الكندى فى مائة ما لا يمكن ان يكون لا نهاية له، وما الذى يقال : لا نهاية له،، واليك نصه فى هذا الصدد :

١- ان كل شى^١ ينقص منه شى^٢، فان الذى يبقى اقل مما كان قبل ان ينقص منه -

ب- وكل شى^١ ينقص منه شى^٢ فانه اذا ما رد اليه ما كان نقص منه، عاد الى المبلغ الذى كان اولاً -

(١) رسائل الكندى ص ١١٦

(٢) يقول التفتازانى : "ومن مشهور الادلة برهان التطبيق، وهو ان تفرض من المعلول الاخير الى غير النهاية جملة، ومما قبله بواحد مثلاً الى غير النهاية جملة اخرى، ثم تطبق الجملتين بان تجعل الاول من الجملة الاولى بازا^١ الاول من الجملة الثانية، والثانى بالثانى، وهلم جرا، فان كان بازا^٢ كل واحد من الاولى واحد من الثانية كان الناقص كالزائد وهو محال - وان لم يكن فقد وجد فى الاولى ما لا يوجد بازائه شى^١ من الثانية فتقطع الثانية وتتناهى ويلزم منه تناهى الاولى لانها لا تزيد على الثانية الا بقدر متناه، والزائد على المتناهى بقدر متناه يكون متناهما بالضرورة، (٣) ومن البين التقارب بين هذا الدليل لبطلان التسلسل ووجود ما لا يتناهى، و بين دليل الكندى، وهما يهدفان الى بطلان وجود غير المتناهى بالفعل -

(٣) شرح العقائد النسفية للتفتازانى ص ٥٤

جـ - وكل اشياء متناهية، فان الذى يكون منها - اذا جمعت - متناه -
 د - فاذا كان شيان احدهما اقل من الاخر، فان الاقل بعد الاكثر او
 بعد بعضه، وان عد كله فقد عد بعضه -

فان فرض جرم لا نهاية له فتوهم شيئا نقص منه شىء، فان ما بقى منه لا
 يخلو من يكون متناها او لا متناه -

فان كان ما بقى منه متناها، فانه اذا اعيد اليه ما اخذ منه المتناهي كانت
 جملتها جميعا متناهية، وجملتها هذه المتناهية هي ما كان اولا مفروضا لامتناها،
 فاذن الذى لا متناه متناه، وهذا خلف لا يمكن -

وان كان اذا اخذ من الجرم الذى لا متناه، متناه ما اخذ منه، وكان الذى
 بقى لا نهاية له، فهو اقل مما كان قبل ان يؤخذ منه، لان كل شىء اخذ منه شىء،
 فان الذى يبقى منه اقل مما كان قبل ان يؤخذ منه -

فاذن قد صار شىء لا نهاية له اقل من شىء آخر لا نهاية له، واقل الشيين
 بعد اكثرهما او بعد بعضه، وان كان بعده فهو بعد بعضه، فاذن الذى لا نهاية
 له هو الاكبر، والاشياء المساوية هي التى ابعاد ما بين نهاياتها المتشابهة
 متساوية، فكانت الابعاد كمية او رتبة الذى لا نهاية له، فالذى لا نهاية له الاصغر
 له نهايات، وهذا خلف لا يمكن -

فاذن ليس يمكن ان يكون جرم لا نهاية له بثة - (١)

ويكرر الكندى هذا البرهان ثالثا بنفس الاسلوب فى رسالته فى "وحدانية

الله وتناهي جرم العالم -،، (٢)

(١) رسائل الكندى ص ١٩٤ - ١٩٦

(٢) الرسائل ص ٢٠٢

ويستدل الكندي في رسالة رابعة "رسالة الكندي في ايضاح تناهى جرم العالم" على تناهى الاجرام كلها، وهذا الدليل يوافق دليله السابق في الشق الاول، ويخالفه في الشق الثاني، ونص عبارته واضح . . يقول: "فلتوضح الآن انه لا يمكن ان يكون جرم الانهائية له، فنقول: انه ان امكن ان يكون جرم لا نهاية له، فقد يمكن ان يتوهم منه جرم محدود الشكل متناه - ككرة او مكعب او غير ذلك من المتناهيات، فان كان جرما لا نهاية له، وتوهم منه جرم محدود، فاما ان يكون اذا افرد منه ذلك الجسم المحدود، متناها او لا متناها -

فان كان متناها فان جملتها جميعا متناهية، لانه قد تبين ان الاعظام التي كل واحد منها متناه جملتها متناهية، فيجب من ذلك ان يكون الذى لا نهاية له متناها، وهذا خلف لا يمكن -

وان كان بعد ان افرد منه الجرم المحدود لا نهاية له، فهو اذا زيد عليه ايضا ما لا نهاية له "ما افرد منه"، فانه يعود كحاله الاولى، وقد تبين سما قد منا ان كل جرمين يضم احدهما الى الآخر، فانهما جميعا مجموعين، اعظم من كل واحد منهما مفردا، فالذى لا نهاية له والمحدود المزيد عليه جميعا اعظم من الذى لا نهاية له وحده، وهما جميعا لا نهاية لهما، فقد صار ما لا نهاية له اعظم مما لا نهاية له اذن، وقد اوضحنا فيما قدسنا انه لا يمكن ان يكون جرم لا نهاية له اعظم من جرم لا نهاية له، وان كل عظيمين متجانسين - ليس احدهما اعظم من الآخر - مساويان، وقد تبين انه لا مساولة، فهو مساو في العظيم له لا مساو في العظيم له، وهذا خلف لا يمكن، فليس يمكن ان يكون جرم لا نهاية له، فجرم الكل اذن متناه -، (١)

وبعد ان اثبت الكندى تناهى جرم العالم، يحاول اثبات تناهى ما فيه من الاعراض المحمولة عليه، وذلك بحجة ان الذى يكون محصورا فى المتناهى يكون متناهيا، فما يوجد محصورا فى جرم العالم المتناهى مثل الحركة والزمان وغيرهما كلها متناهية، وذلك لتناهى حاصرها وهو جرم العالم -

ويثبت الكندى التلازم بين الحركة والزمان و جرم العالم، وبذلك لا يوجد احدهما دون الآخر، فلا يوجد الزمان والحركة دون الجرم، فالجرم حاصرها، فيلزم من تناهيه تناهيهما، وتناهى زمان الجرم يثبت حدوثه، و بذلك يثبت حدوث العالم لان كل متناه حادث -

ويرى الكندى انه لا يوجد جرم دون الحركة، وذلك لانه ان لم تكن حركة لم يكن البدو والانتها فلم تكن المدة فلم يكن الجرم، لان الجرم لا يوجد دون المدة، فاذا يكون جرم تكون حركة، واذا تكون حركة يكون زمان، وبناء على ذلك فلا بد من وجود الحركة ان كان الجسم موجودا، لانه لا يمكن ان يكون الجسم ساكنا ثم تحرك، و ذلك لان جرم العالم اما ان يكون حادثا او قديما، فعلى الاول وجوده عن عدم كون، والكون احد انواع الحركة، فحدوث جرم العالم حركة، وبذلك فالحدوث والحركة متلازمان، وبالتالي الجرم و الحركة متلازمان، و على الثانى - اعنى اذا كان جرم العالم قديما ساكنا ثم تحرك، فمعنى ذلك هو تغير الازلى، وهذا مستحيل -

واذ تبين لنا ان الجرم لا يوجد بدون الحركة، والزمان هو مقدار الحركة، او انه هو المدة التى يكون الجرم فيها، فقد ثبت من هذا كله ان الحركة والجرم والزمان امور متلازمة، لا يسبق بعضها بعضا - وبما ان كل من الجرم والحركة والزمان متناه، فان مدة وجود العالم متناهية بداهة، فالعالم حادث -

واذ ثبت ان قدم العالم يستلزم تغير الازلى واستحالته، وهذا مستحيل،
 فقدمه ايضا مستحيل، فالازلى فى نظره هو البارى سبحانه و تعالى وحده، وهو لا
 يتحرك ولا يستحيل، يقول الكندى: ”والاستحالة تبدل، فالازلى لا يستحيل،
 لانه لا يتبدل ولا ينتقل من النقص الى التمام، فالانتقال استحالة ماء، فالازلى لا
 ينتقل الى تمام لانه لا يستحيل، والتمام هو الذى له حال ثابتة، يكون بها فضلا،
 والنقص هو الذى لا حال له ثابتة يكون بها فضلا، فالازلى لا يمكن ان يكون
 ناقصا، لانه لا يمكن ان ينتقل الى حال يكون بها فضلا — لانه لا يمكن ان
 يستحيل الى افضل منه ولا الى انقص منه بثة،،(١)

بان من هذا النص ان الازلى — وهو الواحد الحق فى نظر الكندى — لا
 يستحيل ولا يتغير ولا ينتقل من حال الى حال، لانه تام، ومن اماراته انه ثابت
 الحال دائما، اما غير الازلى — وهو العالم الحادث فى نظره — فمن اماراته انه
 ليس ثابت الحال، فهو دائما فى استحالة و حركة وانتقال من حال الى حال، وذلك
 لانه ناقص غير تام -

و كما استدل الكندى على التلازم بين الحركة والجرم والزمان، كذلك
 يستدل مرة اخرى على التلازم بين الجرم والحركة -

و حاصل الدليل : ان كان الجرم موجودا ولم تكن الحركة موجودة، فاما
 الا تكون الحركة بثة، واما ان تكون غير موجودة بالفعل ولكنها تكون ممكنة -
 وكونها غير موجودة مطلقا باطل، لانها موجودة بداهة، فاذن تكون موجودة
 ولا موجودة، وهذا خلف -

(١) رسائل الكندى ص ١١٤

وعلى التقدير الثانى تكون الحركة موجودة فى بعض الاجرام بالفعل، وان لم تكن موجودة فى البعض الآخر بالفعل، لان معنى كون الشئ ممكنا للآخر، انه يوجد فى بعض الافراد بالفعل دون البعض، وذلك مثل امكان الكتابة لمحمد، فانها وان لم تكن موجودة فيه بالفعل، فانها موجودة فى غيره من افراد الانسان، فكذلك تكون الحركة - على هذا التقدير - موجودة فى بعض الاجرام بالفعل، وبالتالي تكون موجودة فى الجرم المطلق اضطرارا، فاذا كان الجرم كانت الحركة موجودة، وهذا هو المطلوب - وبذلك ثبت التلازم بين الجرم والحركة - (١)

وقد بينا سابقا حدوث الحركة، والزمان هو مقدارها، وهو يلزم الجرم كالحركة، فبحدوث الحركة ثبت حدوث الجرم، والزمان، وبذلك ثبت حدوث العالم -

ثم يعترض الكندى على ما سبق، ويوجب عنه فيقول: "وقد نظن انه يمكن ان يكون جرم الكل كان ساكنا اولاً، وكان ممكنا ان يتحرك، ثم تحرك وهذا الظن كاذب اضطرارا -"، (٢)

و حاصل الجواب: ان توهم الواهم بان جرم الكل كان ساكنا ثم تحرك لا مكان الحركة له، فالحركة لا تلازم الجرم، باطل، لان جرم الكل لا يخلو اما ان يكون حادثا او قديما، فعلى الاول يكون كونا عن ليس، والكون نوع من انواع الحركة كما سلف، فاذن جرم الكل لا يسبق الحركة - وان كان الجرم قديما، فيلزم من حركته بعد السكون، استحالته وتغيره من حال الى حال، وهو على القديم محال، فاذن الجرم لا يسبق الحركة، فهما متلازمان فى الوجود -

(١) رسائل الكندى ص ١١٧

(٢) نفس المصدر ص ١١٨

وبعد ان اثبت الكندي التلازم بين الجرم والحركة، يثبت ان الزمان لا يسبق الجرم، فهو والحركة والجرم متلازمة في الوجود - وحاصل قوله : ان الحركة لا توجد بلا جرم، والجرم لا يوجد بلامدة، والحركة تعد المدة، فلا يوجد شيء من هذه الثلاثة دون الآخر، فلا يسبق احدها على الاخر في الوجود - (١)

”فاذن قد اتضح انه لا يمكن ان زمان لا نهاية له، اذ لا يمكن ان يكون كمية او ذو كمية لا نهاية له بالفعل، فكل زمان فذو نهاية بالفعل - والجرم لا يسبق الزمان، فليس يمكن ان يكون جرم الكل لا نهاية لانيته، فانية جرم الكل متناهية اضطرارا، فجرم الكل لا يمكن ان يكون لم يزل -، (٢)

ويوضح الكندي التلازم بين الجرم والحركة بدليل آخر ايضا، ليزداد الناظرون فيه تمهدا، وحاصله : ان الجسم مركب من الابعاد الثلاثة، لانه الجوهر الطويل العريض العميق، وكذلك انه مركب من الصورة والهيولى، فاذن فيه تركيب، والتركيب تبدل حالة اللاتركيب الى التركيب، والتبدل حركة، فاذا كان جرم كان تركيب، فكانت الحركة، فاذا كان الجرم كانت الحركة، وبذلك فهما متلازمان لا يسبق احدهما الآخر - (٣)

فقد اتضح لنا ان وجود الجرم موقوف على التركيب، والتركيب تبدل، والتبدل حركة، فان لم تكن الحركة لم يكن التبدل فلم يكن التركيب فلم يكن الجرم، فهما متلازمان لا يسبق احدهما الآخر، و بعد ان اثبت الكندي التلازم

(١) الرسائل ج ١ ص ١١٩

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٢٠

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٢٠

بينهما يبين التلازم بين الحركة والزمان، وبين الجرم والزمان من ناحية اخرى، فهذه الثلاثة متلازمة الوجود لا يسبق بعضها بعضا، يقول: "وبالحركة الزمان، لان الحركة تبدل، والتبدل عدد مدة المتبدل، فالحركة عادة مدة المتبدل، والزمان مدة تعدها الحركة، ولكل جرم مدة كما قدمنا، اى هو فيه انية، اعنى ما هو فيه هو ما هو-

والجرم لا يسبق الحركة كما اوضحنا، فالجرم لا يسبق مدة تعدها الحركة، فالجرم والحركة والزمان لا يسبق بعضها بعضا فى الانية، فهى معا فى الانية، فاذا كان الزمان ذا نهاية بالفعل، فانية الجرم ذات نهاية بالفعل اضطرارا، ان كان التركيب والتاليف تبديلا ما، وان لم يكن التركيب والتاليف تبديلا، فليست هذه النتيجة بواجبة -، (١)

توضح لنا سما سلف ان جرم العالم والحركة والزمان و كل ما له كمية، امور متناهية، وبذلك ثبت حدوث العالم، ولكن الكندى لا يكتفى بذلك، بل يستدل على تناهى الزمان بدليل آخر، وبذلك يثبت حدوث العالم لانتهاه مدته وزمانه، لان الذى يكون زمانه متناهيًا له بداية و نهاية فيكون حادثًا - وحاصل قوله فى هذا الصدد ان الجرم لا يوجد دون المدة والزمان حسب ما سلف مفصلا، والزمان متناه، لانه لو كان غير متناه، لما كان الانتهاه الى فصل محدود منه، لان الانتهاه اليه يقتضى الانتهاه الى فصل قبله، والانتهاه اليه يقتضى الانتهاه الى ما قبله، وهكذا الى غير النهاية، فلو كان الزمان غير متناه فى الماضى، لما انقطع، لان مسافة الاستنهاى لا تنقطع، والانتهاه الى فصل معين من الزمان قد حصل،

فثبت من ذلك تناهى الزمان، وبذلك ثبت تناهى الجرم، لانه لا يوجد دون الزمان، فثبت حدوث العالم -

و بعد ان اثبت الكندى تناهى الزمان فى الماضى، يثبت تناهيه فى المستقبل ايضا، فالزمان فى نظر الكندى له بدو ونهاية، وحاصل القول : ان متناهى الكمية اذا اجتمع بمثله، فالمجموع المركب منهما يكون متناهما بداهة، ولما اثبتنا فى ما مضى، ان الزمان الماضى متناه، وما يتصل به من اجزاء الزمان فى المستقبل ايضا متناهية بداهة، فمجموعها المركب لا بد ان يكون كذلك متناهما، فثبت تناهى الزمان فى الماضى والمستقبل، وتبعاً لذلك ثبت تناهى جرم العالم حسب ما مر مرارا - فالعالم محدث مخلوق من العدم، خلقه البارى لان لكل محدث محدث - (١)

وهناك تشابه بين ما استدل به الكندى والمتكلمون حيث انهم جعلوا من مقدمات برهان التطبيق قولهم "الزائد على المتناهى بقدر متناه، يكون متناهما بالضرورة"، (٢) ذلك لانه نفس ما قال الكندى : "كلما زيد على الزمان المتناهى المحدود زمان، كانت جملة الزمان المحدود والمزيد عله محدودا -"، (٣) وكما ان الكندى فى احد ادلته بنى حدوث العالم على تناهى جرمه، فكذلك المتكلمون استدلوا بتناهى جرمه على حدوثه، وذلك كما يقول الماوردى : "الدليل الثانى على حدوث العالم وجوده محدودا متناهما الاجزاء، والابعض، وما تناهت اجزائه واسكن توهم الزيادة عليه والنقصان منه كان تقديره على ما هو به دليلا على ان غيره قدره، اذ ليس كون ذاته على صفة باولى من كونه على غيرها لولا تدبر غيره

(١) نفس المصدر ج ١ ص ١٢٢

(٢) شرح العقائد النسفية ص ٥٤

(٣) رسائل الكندى ج ١ ص ١٢٢

لها،،(١) وهذا التشابه بين الاستدلال و مقدمات الادلة، يدل على التاثر والتاثير بين الكندي والمتكلمين -

لقد او ضحنا ادلة الكندي على حدوث العالم ومدى تقاربها من ادلة المتكلمين ولكننا رغم ذلك لم نطلع على منشأ نقد صاعد لادلة الكندي، اذ يقول عنها انها : ”حجج غير صحيحة، بعضها سوفسطائية، و بعضها خطائية،،(٢) ولذلك لا نرى ما يبرر نقده لادلة الكندي - وكان من واجب صاعد ان يبين وجه ضعف ادلة الكندي، اذ كان لا بد له من نقده، ولكنه لم يفعل ذلك -

وسما يلاحظ هنا ان الكندي يعرف الحادث بماله بدو ونهاية، ونرى هذا التعريف تقريبا عند المتكلمين حيث يقول الماوردي : ”المحدث ما كان له اول والقديم ما لا اول له -،،(٣) كما يقول الآخرون الحادث ما هو مسبق بالعدم، حسب ما مر بنا -

(١) اعلام النبوة لابي حسن محمد الماوردي ص ٧ طبع المليجي بالقاهرة

(٢) طبقات الامم لصاعد الاندلسي ص ٨١

(٣) اعلام النبوة للماوردي ص ٦